صحافية إسرائيلية تسكن في رام الله

عميرة هاس: «مهمتي مراقبة الاحتلال من خلال الفلسطينيين»!

لا شك في أن الصحافية والكاتبة الإسرائيلية عميرة هاس هي طائر يغرد خارج السرب. وبعكس غالبية الإسرائيليين، الذين لا يرون الفلسطينيين ويتجاهلون حقوقهم، فإن هاس، ليس فقط ترى الفلسطينيين ومناصرة لهم ولحقوقهم السياسية والإنسانية وحتى التاريخية، وإنما هي تسكن بينهم. والمفارقة في هذه المقابلة معها، وهي اليهودية الإسرائيلية، هي أنه تم إجراؤها في رام الله، حيث تسكن. ولم تتنازل هاس عن السكن في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، ولا حتى في أحلك الظروف، مثل فترة الانتفاضة الثانية. سكنت في غزة، ثم انتقلت إلى رام الله.

وبالإمكان اعتبار هاس أنها شاهدة إنسانية على معاناة الفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي، منذ الثمانينيات وحتى اليوم. وبدأ اهتمامها بهذه المعاناة من خلال نشاطها في حركات يسارية إسرائيلية، وبعد ذلك انضمامها إلى منظمة تعنى بحقوق العمال الفلسطينيين في إسرائيل، ثم عملها كمراسلة لصحيفة «هآرتس» في الأراضي المحتلة.

ووثقت هاس خلال عملها الصحافي، منذ أكثر من ٢٣ عاما، حياة الفلسطينيين السياسية والاجتماعية، إلى جانب ممارسات سلطات الاحتلال ضدهم، وكانت شاهدة كمصدر أولي على التحولات بينهم، في الانتفاضة الأولى، وعندما جرى التوقيع على اتفاقيات أوسلو، وفي الانتفاضة الثانية، وعندما حدث الانقسام الفلسطيني المأساوي، في العام ٢٠٠٧. وهي مطلعة على مواقف المنظمات الفلسطينية من خلال علاقاتها واتصالاتها مع قادتها ونشطائها.

وخلافا لغيرها من الصحافيين والمراسلين الإسرائيليين في الأراضي المحتلة، الذين يحاولون أحيانا تجميل صورة دولتهم، فإن هاس لم تفعل ذلك أبدا. وهي تملك نظرة ثاقبة لمجريات

عميرة هاس.

الصراع وتطور آليات الاحتلال، حتى وصول حل الدولتين إلى نقطة الاستحالة. وتقول إن القيادة السياسية الإسرائيلية، من أمثال شمعون بيريس وتسيبي ليفني وغيرهما، لم يبدأوا بالحديث عن الدولة الفلسطينية إلا عندما أيقنوا أن الوقائع التي فرضتها إسرائيل على الأرض تمنع قيام دولة فلسطينية.

وفي هذا السياق، تسلط هاس الضوء على ما وصفته بـ«الجيوب الفلسطينية» في الضفة الغربية. وهذه «الجيوب» عبارة عن المحافظات الفلسطينية، التي حاصرت إسرائيل كل واحدة منها بمستوطنات وأراض مصادرة وأراض عسكرية مغلقة، وسعت عمليا إلى عزلها عن بعضها. وتحذر هاس من أن إسرائيل تسعى إلى وجود قيادة محلية في كل واحد من هذه «الجيوب». والنتيجة هي أن الفلسطيني في «جيب» جنين، مثلا، يرى صعوبة بالسفر إلى «جيب» الخليل، ويفضل التنازل عن رحلة كهذه، لأنه سيمر بحواجز عسكرية وشوارع تلتف حول المستوطنات، وأخرى يُمنع الفلسطيني من السير فيها وما إلى ذلك من عقبات.

والنظرية الصحافية التي تحملها هاس مفادها أن مهمة الصحافة هي مراقبة مراكز القوة، وأن مهمتها الصحافية هي مراقبة سلطات الاحتلال كمركز قوة إسرائيلي، ولعله أكبر مركز قوة إسرائيلي. ويبدو أن مصدر هذه النظرة الصحافية، إلى جانب الأفكار الأخرى التي تحملها هاس، نابعة من نشأتها والأجواء السياسية في عائلتها، وبعد ذلك تطورها السياسي، والتحولات السياسية في إسرائيل، خلال العقدين ونيّف الماضيين.

وتحدثت هاس في بداية المقابلة عن بيت عائلتها، وقالت إنه «ولدت في القدس، في العام ١٩٥٦، لوالدين شيوعيين وناجيين من المحرقة. وكان السؤال الذي طرحته عليهما عندما كنت في الخامسة من عمري، هو لماذا جاءا إلى إسرائيل إذا لم يكونا صهيونيين؟. وهذا السؤال يدل على الأجواء السياسية جدا في بيتنا. واليوم أنا أستغرب كيف أمكنني أن أطرح سؤالا كهذا في سن الخامسة، لكن في الحقيقة هما تذكرا هذا السؤال لسنوات طويلة بعد ذلك. كذلك فإنه عندما كنت في الرابعة من عمري، وكنت في روضة أطفال في القدس، طلبت المعلمة من والديّ أن يقنعاني بالتوقف عن تحريض الأولاد ضد (رئيس الحكومة الإسرائيلية دافيد) بن غوريون. فقد سمعت في حينه الأغاني ضد بن غوريون، مثل «بن غوريون لديه سيارة كاديلاك ونحن نعاني من الحمى»، وعلّمت هذه الأغاني للأولاد في الروضة. هكذا كانت الأجواء في بيتنا ومحيطنا. ومن هذه الناحية، أنا لست متمردة بعملي الحالي كصحافية وإنما استمرّيت بخط سياسي معين».

سؤال: أين أنهيت المدرسة الثانوية؟

هاس: «في مرحلة معينة انتقل والدي للسكن في تل أبيب، بسبب الحزب. فقد كان موظفا محترفا فيه. وكان عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي «ماكي». وبعدها حدث الانقسام في الحزب، وكانت هذه صدمة كبيرة، وبقي والدي في «ماكي». وعندما كنت في الصف الثامن بدأت المشاكل بيني وبين والدي، لأني شعرت أنه انحرف نحو اليمين من الناحية السياسية. ووالدتي كانت نسوية، وكانت نقدية... وفي تلك السنوات بدأت هذا الحركة بالظهور، ونحن نتحدث عن نهاية الستينيات وبداية السبعينيات. وكانت والدتي نقدية حيال الذكورية والرجولة، وضد الستالينية أيضا. كما أنها قامت بنقد ذاتي لنفسها، لكن والدي لم يفعل ذلك وسار في التلم القومي، وتسبب ذلك بخلافات بيننا. ولأسباب متعددة ومتنوعة أخرى، قررت العودة للسكن في القدس ودخول المدرسة الثانوية هناك. في البداية سكنت مع والدتي وبعد ذلك وحدي بعد أن عادت إلى تل أبيب. وأذكر أنه في منتصف الصف التاسع، هاتفتني أمي وقالت إن لديها «أنباء سارة»، وهي أن والدي عاد إلى اليسار في أعقاب انقسام آخر داخل «ماكي». وكنت راضية من ذلك. وأنهيت المدرسة الثانوية في القدس، وعندها تعين عليّ أن أقرر ماذا سأفعل بالنسبة للجيش، وكان ذلك في العام ١٩٧٤. وكان موقف والدي البلشفي هو إما تأدية الخدمة العسكرية أو الرفض والذهاب إلى السجن، لكن التهرب من الخدمة العسكرية ليس خيارا. اليوم أنا نادمة، لكن في حينه لم يكن السجن بسبب رفض تأدية الخدمة العسكرية إطارا ملائما لبنت. وكانت هناك إمكانية أخرى، انضممت إليها، وهي الخدمة

«أنهيت المدرسة الثانوية في القدس، وعندها تعين عليّ أن أقرر ماذا سأفعل بالنسبة للجيش، وكان ذلك في العام ١٩٧٤. وكان موقف والدي البلشفي هو إما تأدية الخدمة العسكرية أو الرفض والذهاب إلى السجن، لكن التهرب من الخدمة العسكرية ليس خيارا. اليوم أنا نادمة، لكن في حينه لم يكن السجن بسبب رفض تأدية الخدمة العسكرية إطارا ملائما لبنت. وكانت هناك إمكانية أخرى، انضممت إليها، وهي الخدمة في الكيبوتس مدة سنتين، وهذا لم يكن إطارا عسكريا، وإنما هو أشبه بما نسميه اليوم بـ«الخدمة الوطنية».

في الكيبوتس مدة سنتين، وهذا لم يكن إطارا عسكريا، وإنما هو أشبه بما نسميه اليوم بـ«الخدمة الوطنية». والخدمة في هذا الإطار من دون زي عسكري ومن دون ضباط وما إلى ذلك. وبعد ذلك سافرت مدة عام إلى رومانيا. وكانت رومانيا الدولة الوحيدة بين الدول الاشتراكية التي يمكن الدراسة فيها إن لم تكن عضوا في «راكاح». وسافرت إلى رومانيا لأنه سنحت لي الفرصة للسفر والدراسة. واليوم أنا أعرف أني لم أكن أريد الدراسة وإنما تجربة العيش تحت نظام شيوعي. وكنت سأتقدم، بعد سنة اللغة، لدراسة الطب رغم علمي المسبق أني لن أبقى في رومانيا. وكانت هذه تجربة صعبة، رغم أني سافرت إلى رومانيا من دون أن تكون لدي أي أوهام تجاهها. كان الوضع مروعا أكثر مما تخيلت. صحيح أنه أصبحت لي علاقات مع أشخاص، وهذا الأمر كان مهما في فترة لاحقة. وأعتقد أنه عموما، علينا نحن في اليسار أن نتحمل مسؤولية، ليست شخصية، وإنما فلسفية وأخلاقية حول ما حدث في الأنظمة المسماة شيوعية أو اشتراكية. وكانت رومانيا أسوأ دولة في أوروبا الشرقية».

سؤال: هل بدأت بدراسة الطب في رومانيا؟

هاس: «لا. بقيت هناك عدة شهور وتعلمت اللغة الرومانية ثم غادرت. عدت إلى البلاد، وبدأت دراسة موضوع التاريخ في الجامعة العبرية في القدس. ثم سافرت إلى هولندا، وعدت بعد سنتين. ثم بدأت بالدراسة للماجستير في جامعة تل أبيب، لكني لم أكمل. وعندها اندلعت الانتفاضة الأولى، في نهاية ١٩٨٧ ، وكنت مشغولة جدا، إذ كنت ناشطة في حركة «شاسي» (أي «اليسار الاشتراكي الإسرائيلي»). وفي العام ١٩٨٩ انضممت إلى منظمة «خط العامل»، كمتطوعة. وقد قررت وقف الدراسة لأني اعتقدت أن المسار الأكاديمي ليس مناسبا لي، رغم أني عملت في تدريس دورات حول موضوع النازية، وكان ذلك بتأثير أن والديّ هما ناجيان من المحرقة».

نشاط مع العمال الفلسطينيين

سؤال: ما الذي جلبك للعمل في الصحافة؟

هاس: «الصدفة والحاجة. فعندما قررت عدم الاستمرار في الدراسة، وكنت قد عملت في الجامعة كمساعدة محاضر وما إلى ذلك مثل تدريس دورات حول المحرقة والنازية، بدأت بالبحث عن عمل. لم أكن أتقن أي عمل. وأنا أقول دائما إنه لو كنت متخصصة في الرياضيات أو الموسيقى لما توجهت إلى الصحافة. ولأني لست جيدة في شيء سوى في التعامل مع الكلمات، فقد بحثت عن عمل في الصحافة. وقد حاولت قبل ذلك بسنوات العمل في صحيفة «هآرتس»، لكن لم تكن لدي واسطة جيدة فلم يقبلوني. وبعد ذلك بسنتين أو ثلاث حاولت مرة أخرى، وكانت لدي واسطة جيدة في الصحيفة، وكانت (الواسطة) قد تعلمت لدى محاضر كنت أنا مساعدته، وهي أوريت شوحط التي تم تعيينها محررة لملحق «هآرتس». وخلال أسبوع تم قبولي للعمل في الصحيفة. كان ذلك في العام ١٩٨٩ ، وقد عملت في قسم التحرير. بدأت كمحررة صغيرة، وذلك في الوقت الذي كان فيه المحررون متدربين من خلال العمل في إذاعة الجيش الإسرائيلي. وكانوا جميعهم أصغر مني سني، لكني كانت لدي خلفية سياسية مختلفة عنهم. وقد عملت في المساء في الصحيفة، وفي ساعات النهار كنت أقوم بنشاط في إطار منظمة «خط العامل». وفي إطار هذا النشاط، كنا نذهب في ساعات الصباح إلى أماكن عمل العمال الفلسطينيين من أجل مساعدتهم في تحصيل حقوقهم. وكانوا في المنظمة يطلقون عليّ اسم «عنوان للعامل». وشعرت في سنوات النشاط هذه، ١٩٨٩ – ١٩٩٠ ، أن محاولاتنا للتأثير على الجمهور الإسرائيلي ضد الاحتلال وصلت إلى طريق مسدود. لأنه قبل ذلك بسنة ونصف السنة، في أعقاب اندلاع الانتفاضة، شعرنا بوجود تغيير لدى الجمهور الإسرائيلي. لكن بعد ذلك، بذلت حكومة إسحق شمير جهودا مركزة من أجل

«سافرت إلى رومانيا لأنه سنحت لي الفرصة للسفر والدراسة. واليوم أنا أعرف أني لم أكن أريد الدراسة وإنما تجربة العيش تحت نظام شيوعي. وكنت سأتقدم، بعد سنة اللغة، لدراسة الطب رغم علمي المسبق أني لن أبقى في رومانيا. وكانت هذه تجربة صعبة، رغم أني سافرت إلى رومانيا من دون أن تكون لدي أي أوهام تجاهها. كان الوضع مروعا أكثر مما تخيلت. صحيح أنه أصبحت لي علاقات مع أشخاص، وهذا الأمر كان مهما في فترة لاحقة. وأعتقد أنه عموما، علينا نحن في اليسار أن نتحمل مسؤولية، ليست شخصية، وإنما فلسفية وأخلاقية حول ما حدث في الأنظمة المسماة شيوعية أو اشتراكية. وكانت رومانيا أسوأ دولة في أوروبا الشرقية».

منع وصول أي معلومات حول ما يجري في الضفة إلى الجمهور الإسرائيلي، وشيئا فشيئا تراجعت المعارضة للاحتلال. أي أنه على الرغم من استمرار الانتفاضة وقمع الفلسطينيين، لكن المعلومات التي تصل إلى الإسرائيليين تراجعت بشكل متواصل. وعندها شعرت أن العمل السياسي وحده لا يكفيني. ونشأت في ذلك الوقت عدة مجموعات نشطت من خلال الربط بين النشاط السياسي وقمع أفراد فلسطينيين. وقررت الانضمام إلى المجموعة التي تنشط من أجل العمال الفلسطينيين، وكان هذا الموضوع الأقرب إليّ».

سؤال: إلى متى استمر هذا النشاط؟

هاس: «بعد ذلك بثلاثة شهور اندلعت هبة شعبية في رومانيا. وكانوا يعرفون في الصحيفة أن لدي علاقات في رومانيا، من الفترة التي عشت فيها هناك. وكنت أتصل دائما بمعارفي في رومانيا والسؤال حول ما يحدث. وقد أوفدتني الصحيفة إلى رومانيا، وبقيت هناك مدة أسبوعين. وكانت هذه تجربتي الأولى في الصحافة. وعندما عدت لم يكن هناك مكان في الصحيفة لمراسلة، فعدت إلى عملي في قسم التحرير. وكان مراسل الصحيفة في الأراضي المحتلة حينذاك الصحافي يزهار بئير، الذي أصبح بعد ذلك مديرا عاما لمنظمة «بتسيلم». وفي ذلك الوقت كنا نحرص على عدم كتابة كلمة «مخربين» في الصحيفة، وأن لا نستخدم كلمات عسكرية وعدم القيام بدعاية للإدارة المدنية. وقد كانت هذه مدرسة جيدة للصحافة بالنسبة لي. بعد ذلك انتقلت إلى القسم النهاري، ما يعني العمل على تحرير تقارير ومقالات. وكانت المسؤولة عن هذا القسم الصحافية عادا أوشبيز والمسؤول المباشر عنا هو نائب رئيس التحرير، تسفي بارئيل. وفي تلك الفترة بدأت أذهب إلى غزة، في إطار نشاطي في «خط للعامل». واكتشفت أنه في إسرائيل لا يعرفون شيئا عن غزة. وفي المقابل كان هناك صحافيون إسرائيليون يعرفون أمورا أكثر عن الضفة الغربية. وكان هناك عدد من المراسلين الذين لم يستقوا المعلومات حول الضفة من الجيش. واقترحت على الصحيفة أن أعد تقارير عن غزة. ولم أكن أعرف الكثير عن غزة، لكني أقمت علاقات مع أشخاص هناك، من خلال معارفي في نقابات العمال».

سؤال: في أي عام كان ذلك؟

هاس: «في العام ١٩٩١. وتعرفت على كل من توجب أن أعرفه، وحالفني الحظ بأن تعرفت على الدكتور حيدر عبد الشافي. وكان معارفي في غزة يستضيفونني في بيوتهم عندما كنت أتأخر في الليل ولا أتمكن من العودة إلى بيتي. وبدأت حينها أقضي وقتا أطول في غزة. عندها بدأت علاقتي الودية مع غزة».

سؤال: إلى متى استمرت قصة الود هذه؟

هاس: «حتى اليوم، لكن إسرائيل لا تسمح لي بالذهاب إلى غزة».

سؤال: وفي غزة لا يسمحون لك بالدخول.

هاس: «لقد طردوني من هناك في مرحلة معينة، لكنهم عادوا وسمحوا لي بالعودة لاحقا».

سؤال: في العام ١٩٩١ بدأت تعملين كمراسلة «هآرتس» للشؤون الفلسطينية؟

هاس: «لا. لكن لأنه لم يكن في الصحيفة وظيفة لمراسلة في غزة، فقد وافق المحرران أوشبيز وبارئيل على أن نسجل أياما عملت بها في غزة على أنها أيام عمل في قسم التحرير. وقد بلورت هذه السنوات شخصيتي من الناحية المهنية، وتعرفت على أشخاص كثيرين، سواء في التنظيمات العمالية أو أسرى محررين. ولم أكن

«في ذلك الوقت كنا نحرص على عدم كتابة كلمة «مخربين» في الصحيفة، وأن لا نستخدم كلمات عسكرية وعدم القيام بدعاية للإدارة المدنية. وقد كانت هذه مدرسة جيدة للصحافة بالنسبة لي. بعد ذلك انتقلت إلى القسم النهاري، ما يعني العمل على تحرير تقارير ومقالات. وكانت المسؤولة عن هذا القسم الصحافية عادا أوشبيز والمسؤول المباشر عنا هو نائب رئيس التحرير، تسفي بارئيل. وفي تلك الفترة بدأت أذهب إلى غزة، في إطار نشاطي في «خط للعامل». واكتشفت أنه في إسرائيل لا يعرفون شيئًا عن غزة».

أتقن اللغة العربية حينذاك. رغم ذلك، قضيت مرة أسبوعا كاملا في مخيم الشابورا، وكان هذا قبل توقيع اتفاقيات أوسلو، لكن الانتفاضة الأولى كانت لا تزال جارية وفرض حظر التجول. وكانت هذه الفترة الصعبة في الانتفاضة الأولى. وقد تم قتل مشتبهين بالتعاون مع إسرائيل، لكننا نعرف اليوم أنهم لم يتعاونوا وإنما كانت هذه عمليات قتل بسبب خلافات شخصية. ورغم كل ذلك، كان بإمكاني تدبر أموري بسهولة في غزة. كان ذلك أسهل من رام الله مثلا. ففي غزة لم أشعر بالخوف رغم أن الجميع كانوا يعرفون أني إسرائيلية، وكانوا يتحدثون معي بالعبرية حتى في السوق. وبعدها جاءت عملية أوسلو، التي سمعنا عنها بصورة مفاجئة. وكان الاعتقاد في الصحيفة أن السلام قريب جدا. وعندها أرسلوني لكي أكون مراسلة لشؤون السلام أو السلطة الفلسطينية. لكن كان واضحا بالنسبة لي، ولعدد من الأشخاص أيضا، أنه لن يكون هناك سلام. ولم أقل لهم في الصحيفة إني سأسكن في غزة لأني خشيت أن يعارضوا وأن يقولوا لي إن هذا أمر خطير. ولأني إسرائيلية نمطية وأفرض وقائع على الأرض فقد سكنت هناك من دون أن أبلغ الصحيفة. ومرت فترة طويلة من دون أن يعرفوا أني أسكن في غزة».

«مهمتي مراقبة الاحتلال»

سؤال: لماذا قررت السكن في الأراضي المحتلة، واليوم أنت تسكنين في رام الله، ولا تفعلين مثل جميع المراسلين الإسرائيليين للشؤون الفلسطينية، الذين يأتون يوميا إلى الضفة ثم يعودون في بيوتهم في تل أبيب أو القدس أو غيرهما؟

هاس: «وهناك مراسلون يسكنون في المستوطنات أيضا. ويوجد لدي ثلاث إجابات على هذا السؤال. الإجابة الأولى، هي أن هذا هو الأمر المنطقي الذي ينبغي فعله. فلو طلبوا مني أن أكون مراسلة للشؤون الفرنسية لسكنت في باريس وليس في برلين. والإجابة الثانية، التي تعيدنا إلى قصة رومانيا، هي أن هناك حاجة للتعرف على الاحتلال من الداخل. وتعين عليّ أن أتعرف على الاحتلال من خلال الجانب الواقع تحت الاحتلال. وفي البداية لم أفكر بأن أسكن في الضفة أو في غزة لأكثر من عشرين عاما، وإنما اعتقدت في البداية أني سأسكن عدة شهور، وبعد ذلك اعتقدت أن هذا الأمر سيدوم بضع سنوات، لكي أشعر ماذا يعني الاحتلال وماذا يعني السير في الشارع فيما يقف هناك جندي حاملا بندقية، وماذا يعني اعتقال شخص ما في الشقة المجاورة لبيتك. وبالطبع، وضعي ليس مشابها لوضع الفلسطيني، لأنني لست مهددة شخصيا مثل الفلسطيني بفقدان البيت أو القتل أو فقدان الأرض. هذا الفرق واضح لي. رغم ذلك شعرت أن عليّ أن أتعرف على هذه الأمور والأوضاع. والإجابة الثالثة هي أني يهودية نمطية، وأحب أن أعيش كأقلية في الشتات. وأنا مؤمنة بحقنا في العيش في الشتات، لكوننا شعبا شتاتيا. أو أنني أجيب بأنني يهودية شرق أوروبية نمطية وأريد العيش في الشططل (بالييديش: البلدة اليهودية في أوروبا الشرقية)، وقد وجدت في غزة الشططل خاصتي».

سؤال: كيف تنظرين إلى دورك كصحافية تغطي الأراضي المحتلة، وما الذي تريدين قوله إلى قرائك؟

هاس: «تعريفي لمهمة الصحافي بصورة عامة وليس للذين يغطون الاحتلال فقط، هو مراقبة مراكز القوة. والاحتلال وكل أجهزة السلب والاستيطان مجتمعة تشكل مركز قوة أساسيا وهو الأكثر تأثيرا على المجتمع الإسرائيلي. والقول إن مهمتي هي مراقبته هو قول كبير عليّ لأن هذه الأجهزة كبيرة للغاية. ولأنه ليست لدي مصادر رسمية تكشف أمامي كل الأسرار، كما أن المصادر الرسمية لا تبتهج بالكشف عن كل شيء، فإني أقول أني أراقب وأحقق في ما يفعله مركز القوة الإسرائيلي من خلال الفلسطينيين الواقعين تحت

«جاءت عملية أوسلو، التي سمعنا عنها بصورة مفاجئة. وكان الاعتقاد في الصحيفة أن السلام قريب جدا. وعندها أرسلوني لكي أكون مراسلة لشؤون السلام أو السلطة الفلسطينية. لكن كان واضحا بالنسبة لي، ولعدد من الأشخاص أيضا، أنه لن يكون هناك سلام. ولم أقل لهم في الصحيفة إني سأسكن في غزة لأني خشيت أن يعارضوا وأن يقولوا لي إن هذا أمر خطير. ولأني إسرائيلية نمطية وأفرض وقائع على الأرض فقد سكنت هناك من دون أن أبلغ الصحيفة. ومرت فترة طويلة من دون أن يعرفوا أني أسكن في غزة».

الاحتلال. وأنا لا أكتب عن الفلسطينيين بقدر ما أكتب عن الأجهزة الإسرائيلية من خلال الفلسطينيين، وهم وثائقي ومستنداتي. هذا هو الهدف الأول الذي أراه. وكتبت في أحد مقالاتي أن الكتابة عن الاحتلال هي مرور بتجربة انخفاض سقف توقعات دائم. وإذا كانت المعلومات التي أمكنني تزويدها في سنوات التسعين ستتحول إلى فهم المعلومات وتحليلها وعندها يتحول ذلك إلى استنتاجات ووعي، ويعرف الناس أنه يكذبون عليهم، وعندها يقود هذا الأمر إلى عمل ما احتجاجي، فقد خاب أملي بالكامل. وحدث مثل هذا الأمر لصحافيين كتبوا بشكل جيد عن الاحتلال قبلي، ويكتبون عن ذلك اليوم، وهم ليسوا مضطرين للسكن هنا في رام الله كي يكتبوا عن الاحتلال. وعندما تكتب عن مركز القوة فإنه يوجد دائما بين القراء أناس متضررون من مركز القوة ولذلك توجد هناك آذان صاغية. لكن عندما أكتب للإسرائيليين عن الاحتلال فإنني عمليا أكتب لمركز القوة عن نفسه. لكن مركز القوة لا يريد أن يعرف عن نفسه. وهذه إحدى التناقضات الكبرى لدينا. وأنا لست سعيدة دائما من الكتابة وحسب. وهذا ليس مرضيا لشخص مثلي جاء من خلفية ممارسة نشاط سياسي».

سؤال: قلت إنك شككت في عملية أوسلو، لماذا؟

هاس: «لم أؤمن أن إسرائيل تريد السلام. لقد جاء أوسلو في العام ١٩٩٣، وكنت حينها أعرف الوضع في غزة بصورة جيدة. وفي اتفاقيات أوسلو ليس مكتوبا ما هو الهدف بصورة واضحة. وكان هناك أمران جعلاني، أنا وآخرين، نشكك. الأول هو أنهم لم يكتبوا في الاتفاقيات بشكل واضح أن الهدف هو قيام دولة فلسطينية مستقلة بحدود العام ١٩٦٧ وما إلى ذلك. والأمر الثاني يتعلق بتبادل الرسائل بين ياسر عرفات وإسحق رابين، ويعترف عرفات من خلالها بدولة إسرائيل، ورابين يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية. وهذا التناقض كان بارزا جدا».

الاحتلال الاسرائيلي: رهان متواصل على القوة.

«أنا يهودية نمطية، وأحب أن أعيش كأقلية في الشتات، وأنا مؤمنة بحقنا في العيش في الشتات، لكوننا شعبا شتاتيا. أو أنني أجيب بأنني يهودية شرق أوروبية نمطية وأريد العيش في الشطعطل (بالييديش: البلدة اليهودية في أوروبا الشرقية)، وقد وجدت في غزة الشطعطل خاصتي».

سؤال: ما هو التناقض هنا؟

هاس: «أن زعيم الشعب الواقع تحت الاحتلال يعترف بالدول المحتلة، والدولة المحتلة لا تعترف بالشعب الواقع تحت الاحتلال، وإنما بممثل الشعب الواقع تحت الاحتلال فقط. وإذا حدث شيئ لمنظمة التحرير، وهو ما يحدث اليوم، فإنك عمليا لم تعترف بأي شيء. أي أن عدم التناسب هذا، إضافة إلى عدم التناسب الحاصل في أمور كثيرة أخرى، كان مشبوها في نظري وفي نظر آخرين. وصياغات الاتفاقيات، التي نشرت في العام ١٩٩٤، كانت ملتوية ومنهكة واليوم نرى نتائجها. وأحد أكثر الأمور التي كانت مشبوهة بنظري هي أن المسؤول من جانب إسرائيل عن محادثات السلام في المستوى المدني هو الإدارة المدنية، علما أن الإدارة المدنية هي الأداة الكولونيالية الأبرز والأهم، ورأس ضباطها مويوء بالكولونيالية ويعتبرون أنفسهم أوصياء على الفلسطينيين. وهم شبيهون بلغتهم وسلوكهم وعالم مصطلحاتهم بمديري المستعمرات في القرن التاسع عشر. كيف يمكن توقع أن يتغيروا خلال المحادثات؟ وعندما عشت في غزة، كان بالإمكان أن أرى بوضوح أن أداء السلطات الإسرائيلية لا يتلاءم مع ما نتوقعه من عملية سلام. فقد توقع الفلسطينيون إزالة الإغلاق المفروض على غزة، والذي كان قد بدأ في العام ١٩٩١، أي إلزام الفلسطيني بالحصول على تصريح من أجل الخروج من القطاع والدخول إلى إسرائيل. وكانت هذه التنقلات تجري بحرية حتى العام ١٩٨٩، باستثناء مجموعات معينة ومحدودة وكان بالإمكان خرق ذلك بسهولة كبيرة أيضا. ومنذ العام ١٩٩١ أصبح الوضع معاكسا، أي أن جميع سكان القطاع ممنوعون من الخروج باستثناء مجموعات معينة تحمل تصريحا بالخروج. وهذا الإجراء مستمر منذئذ وحتى اليوم، وأحيانا تغير إسرائيل عدد الفلسطينيين المسموح لهم بالدخول إلى إسرائيل».

سؤال: أوسلو لم يغير هذه الإجراءات؟

هاس: «بالضبط. وسياسة الفصل، التي بدأت في كانون الثاني العام ١٩٩١، وهدفها الأول الفصل بين غزة والضفة، وكلتاهما عن القدس الشرقية، والضفة عن الفلسطينيين في إسرائيل. وتم تشديد هذه السياسة بصورة تدريجية. ويعتقد معظم الفلسطينيين أن سياسة الإغلاق بدأت في آذار العام ١٩٩٣، عندما تم إغلاق إمكانية التوجه من الضفة إلى القدس. وفي مرحلة متأخرة أدركوا أن هذه السياسة بدأت في العام ١٩٩١ وليس ١٩٩٣، وتحت حكومة شمير وليس حكومة رابين، رغم أن رابين طوّر سياسة الإغلاق والفصل وشددها.

ومنذ مؤتمر مدريد، عندما رأت إسرائيل أن العالم يتوقع منها أن تتقدم باتجاه حل الدولتين، فإن إسرائيل فعلت كل شيء من أجل إحباط هذا الحل. ورغم أنها تحدثت بصورة إيجابية لكنها فعلت العكس. متى بدأ أريئيل شارون وشمعون بيريس وتسيبي ليفني بالتحدث عن دولة فلسطينية؟ بدأوا بالتحدث عن ذلك فقط بعد أن أصبح واقع الجيوب الفلسطينية في الضفة والفصل الكامل بين غزة والضفة حقيقة ناجزة. وعمليا، عندما يتحدثون عن دولة فلسطينية فإنهم يتحدثون عن الجيوب في الضفة الغربية، من دون قطاع غزة ومن دون ٦٠٪ من الضفة. وأنا أسمي ذلك أحيانا بأنه حل الدول السبع، إسرائيل وغزة وخمسة جيوب في الضفة. واليوم بإمكانك رؤية واقع هذه الجيوب في الضفة. فمنذ العام ١٩٩١، وبشكل أكبر بعد العام ١٩٩٣، بدأت المساحة الفلسطينية تضيق بشكل متزايد. وقبل العام ١٩٩١ كان الفلسطينيون يتحركون بحرية، بين الضفة وغزة، وبعد العام ١٩٩٣ أصبحوا يتحركون بحرية داخل الضفة، ومن دون القدس، وشيئا فشيئا بات استخدام الفلسطينيين للحيز العام في الضفة يتقلص، بسبب المستوطنات والشوارع الالتفافية وبسبب الموانع والقيود المختلفة.

ونشأت هذه الجيوب بسبب عاملين اثنين، القيود على أشكالها، والأمر الثاني، وهو الانجاز الأكبر الذي حققته إسرائيل من أوسلو، وأحد الأخطاء الكبرى التي ارتكبها الفلسطينيون، وهو تقسيم الضفة إلى مناطق A, B, C. وصحيح أن إسرائيل، وهي الجانب القوي، وعدت الفلسطينيين، وهم الجانب الضعيف، أن المنطقة C هي وضع مؤقت. لكن الجانب القوي قرر ألا يغير هذا الوضع رغم مرور أكثر من عشرين عاما. وما حدث، هو أن منطقة السلطة الفلسطينية تقلصت الآن، وساهمت في ذلك الشوارع الالتفافية.

«عندما تكتب عن مركز القوة فإنه يوجد دائما بين القراء أناس متضررون من مركز القوة ولذلك توجد هناك آذان صاغية. لكن عندما أكتب للإسرائيليين عن الاحتلال فإنني عمليا أكتب لمركز القوة عن نفسه. لكن مركز القوة لا يريد أن يعرف عن نفسه. وهذه إحدى التناقضات الكبرى لدينا. وأنا لست سعيدة دائما من الكتابة وحسب. وهذا ليس مرضيا لشخص مثلي جاء من خلفية ممارسة نشاط سياسي».

وعمليا، ازداد البُعد بين المناطق الفلسطينية. وأصبحت الخليل بالنسبة لسكان جنين بعيدة وتبدو كأنها في نهاية العالم، لأن على المواطن الفلسطيني أن يمر من عدد كبير من الحواجز العسكرية، على الرغم من خفض عدد هذه الحواجز، ومستوطنات وحشود عسكرية. وقد أصبحت المسافة تبدو أطول بكثير مما كانت عليه قبل العام ١٩٩١".

حل الدولتين؟

سؤال: هذا يعني أن حل الدولتين مات؟

هاس: «لا أعرف. إسرائيل فعلت كل شيء من أجل أن يموت حل الدولتين. وأعتقد أن أي حل هو حل ليس نهائيا، أي أن أي مرحلة في التاريخ هي مرحلة ليست نهائية. ولو وصلنا إلى حل الدولتين، مثلما كنا نحلم به في سنوات السبعين، أي اعتراف متبادل بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني والشعب اليهودي – الإسرائيلي، ورغم انعدام المساواة والتناسبية، إلا أن هذا يفتح مجالا لشيء ما يمكن أن يتطور لاحقا. وفي هذه الحالة، فإنه إذا كانت الحياة معقولة ولا توجد ذريعة أمنية وتهتم بمساواة في الحقوق للفلسطينيين في إسرائيل، وتطور علاقات تجارية وثقافية، وعندها يكون بإمكان الإسرائيليين المجيء إلى الضفة الغربية، بسبب شعورهم بوجود علاقة تاريخية مع المكان، ولكن ليس كمحتلين، وإنما لأسباب دينية مثلا أو كمن يحبون التاريخ. وبعد ذلك يمكن نشوء علاقة معينة... علاقة فدرالية أو كونفدرالية بين الجانبين.

والسؤال هو، كيف يمكن التأثير على أن تكون المرحلة المقبلة من حياتنا تمنح مكانا أكبر لحقوق الإنسان، وحيزا أوسع لتعددية المجتمعات وكيف يصحح الظلم، وكيف يمكن النظر إلى المستقبل أكثر من الماضي؟ إسرائيل تخوفت من هذه الأمور. تخوفت من حراك يُحدث تغيرا إيجابيا تتراجع فيه الهيمنة اليهودية. لذلك هي فعلت كل ما بوسعها من أجل إحباط حل الدولتين. وأنا أقول هذا ليس لأن حل الدولتين هو الأمثل وإنما لأنه كان واقعيا. وهذا لا يعني أن حل الدولة الواحدة هو حل واقعي».

سؤال: ما هو مستقبل الفلسطينيين برأيك... وما هو مستقبل الصراع على ضوء الوضع الذي تصفينه؟

هاس: «أولا، كان لحل الدولتين خطوط واضحة وهي قيام الدولة الفلسطينية في مناطق ١٩٦٧ مع القدس الشرقية ومن دون المستوطنات، وهذه كانت رؤية اليسار الإسرائيلي في حينه. هكذا كانت رؤية منظمة التحرير وكذلك رؤية حركة السلام الآن. وصحيح أن قضية اللاجئين هي موضوع مركزي ومؤلم، وبحسب فهمي للأمور فإن عرفات كان مستعدا لتقديم تنازلات. وإسرائيل عملت من أجل إحباط هذا الحل».

سؤال: إسرائيل لا ترى الحل بالدولة الواحدة أيضا. هل تعتقد إسرائيل أن الوضع الحالي يمكن أن يستمر إلى الأبد؟

هاس: «حل الدولة الواحدة ليس واردا بالنسبة لإسرائيل. وإسرائيل ترى الأمور كالتالي: في العام ١٩٤٨ لم يقبل العرب بدولة إسرائيل، بعد ذلك بسنوات بدأوا يتقبلونها من الناحية الفعلية، عندما تم توقيع اتفاقيات رودس. وبعد العام ١٩٦٧ كانت هناك لاءات القمة العربية في الخرطوم، لكن كانت هناك علاقات سرية بين إسرائيل وأطراف عربية. أي أن إسرائيل بدأت تكسر الجبهة العربية. بعد ذلك جاءت اتفاقية السلام مع مصر ثم اتفاقيات أوسلو مع منظمة التحرير. وإعلان استقلال فلسطين في العام ١٩٨٨ كان عمليا اعترافا بإسرائيل. وبعد ذلك اتفاقية السلام مع الأردن.

وربما هذه هي حسابات إسرائيل. أن تستمر في ممارسة الضغوط. والمجتمع الإسرائيلي تغيّر في العشرين عاما الأخيرة. واتفاقيات أوسلو سمحت لإسرائيل بأن تتظاهر بأنه لا يوجد احتلال. قبل ذلك كان الجيش الإسرائيلي يعترف أنه القوة المسيطرة والمحتلة في الضفة والقطاع. واليوم أيضا، الجيش هو القوة المسيطرة في كل هذه المنطقة، وليس صحيحا أنه المسيطر على ٦٠٪ من

«متى بدأ أريئيل شارون وشمعون بيريس وتسيبي ليفني بالتحدث عن دولة فلسطينية؟ بدأوا بالتحدث عن ذلك فقط بعد أن أصبح واقع الجيوب الفلسطينية في الضفة والفصل الكامل بين غزة والضفة حقيقة ناجزة. وعمليا، عندما يتحدثون عن دولة فلسطينية فإنهم يتحدثون عن الجيوب في الضفة الغربية، من دون قطاع غزة ومن دون ٦٠٪ من الضفة. وأنا أسمي ذلك أحيانا بأنه حل الدول السبع، إسرائيل وغزة وخمسة جيوب في الضفة».

المنطقة فقط. وبرأيي أن إسرائيل لا تزال تحتل غزة رغم عدم وجود جيشها داخل القطاع. لكن نجحوا في أن يظهروا أمام الإسرائيليين والعالم صورة توحي بأن الفلسطينيين مستقلون، لأن الفلسطينيين يهتمون بأنفسهم بالتعليم والصرف الصحي ويتلقون التبرعات من الخارج ولا تمول إسرائيل ذلك. والسلطة الفلسطينية ساهمت في هذه الصورة المشوهة. وباعتبارهم السلطة الفلسطينية «دولة فلسطين» ساهموا في جعل الإسرائيليين والعالم لا يرون الاحتلال. وبالنسبة للإسرائيليين فإن الفلسطينيين هاجموا الإسرائيليين في الأعوام ١٩٩٦ و٢٠٠٠. والإسرائيليون سكارى من انتصاراتهم، ومن قوتهم العسكرية، ويعتقدون أن بإمكانهم أن يحققوا استسلاما فلسطينيا كاملا. وأعتقد أن علينا أن نعترف أن إسرائيل حققت انجازات كبيرة، مثل الجيوب التي تحدثت عنها، والعالم الذي يعرف الوضع في الأراضي المحتلة ولا يفعل شيئا، الفصل بين غزة والضفة، وجود حكومتين فلسطينيتين متصارعتين، الشبان الفلسطينيون الذين يرغبون بالهجرة، الغضب الفلسطيني على السلطة الفلسطينية».

الهبة الفلسطينية الحالية

سؤال: كيف تنظرين إلى الهبة الفلسطينية الحالية؟ كيف يصل الإنسان إلى مرحلة يقرر فيها تنفيذ عملية طعن وهو يعلم أن الاحتمال الأكبر أن يُقتل؟

هاس: «يصعب عليّ كإنسان أن أتخيل أحدا يطعن شخصا ما. يمكنني أن أفسر الغضب واليأس والكراهية، ويوجد مبرر لكل هذه الأمور، لكن يصعب عليّ تخيل شخص يقوم بالطعن، وخاصة إذا كان المطعون سيدة في الستين أو الثمانين من عمرها في مدينة كفار سابا أو في مكان آخر، أو طعن عمال في تل أبيب. ولظاهرة عمليات الطعن يوجد جانب التقليد، وهناك جانب الاستجابة لما يسمعه الفلسطينيون من دعوات في الإذاعة وما يحدث في الأقصى. ولا شك في أنه لدى قسم من منفذي عمليات الطعن أسباب شخصية وأنهم عمليا ذهبوا لكي ينتحروا، مثل الشابة من الناصرة، وهذا بحد ذاته هو أمر مؤلم. وهذا «سر» معروف لجهات عديدة بين الفلسطينيين، والمشكلة أنه لم يجر نقاش عام حول هذا الموضوع.

لكن واضح أن هذا يدل على وجود طريق مسدود بشكل كامل للنضال ضد الاحتلال، وهذا يعبر عن عامل اليأس. وعندما أقول إنه توجد كل المبررات للنضال ضد الاحتلال، فإن هذا هو الوضع الطبيعي، والوضع غير الطبيعي هو وقف النضال ضد الاحتلال. وأعتقد أن كل فلسطيني يشارك في النضال ضد الاحتلال. لكن هذا لا يترجم إلى نضال شعبي شامل، لأنه لا توجد الآن قيادة تريد ذلك. ولا يوجد لهذا الجيل، في هذه الهبة، أحد يمكن أن يستمعوا إليه. لا توجد جهة قيادية تقول لهم «إننا نريدكم أحياء وليس أمواتا». وكان قياديون في منظمة التحرير يقولون لي إنهم يعون إنهم قد يُقتلون، لكنهم لا يذهبون إلى الموت بأرجلهم. رغم ذلك، فإن ما يقوله الشبان الذين يشاركون في الهبة الحالية لإسرائيل أن لا تتوقع استسلاما الفلسطينيين. وهم يوجهون رسالة إلى السلطة الفلسطينية والقيادة الفلسطينية أيضا، مفادها أنه يحظر عليها التفكير بالعودة إلى مفاوضات عبثية. ونحن نلاحظ وجود تغيير واضح في مواقف القيادة الفلسطينية في السنوات الخمس الأخيرة.

وما يحدث الآن ليس انتفاضة، لأن معظم الجمهور الفلسطيني لا ينضم إلى هذه الهبة، ولا يوجد تجند شعبي شامل لانتفاضة. وبالمناسبة، هذا نجاح تحققه سياسة الجيوب. لأنهم أقنعوا الناس بوهم وجود سيادة في الجيوب. وأحيانا تشعر هنا في رام الله بالارتياح أكثر مما تشعر به في إسرائيل، لأنك تشعر كأنك داخل فقاعة. وعندما تكون داخل فقاعة وسط المدينة، في رام الله ونابلس وبيت لحم وجنين مثلا، تكون بعيدا عن الإسرائيليين وعنصريتهم. وأنا أشعر بالراحة في منطقة جنين، فهناك لا ترى مستوطنات».

الهبة الفلسطينية: رسائل متنوعة.

سؤال: هناك اختلاف في الآراء بين الفلسطينيين حيال حل الصراع، وهناك من يرى في كل إسرائيلي أنه مستوطن. ما رأيك؟

هاس: «هناك فلسطينيون يعتقدون أن جميع اليهود هم مستوطنون وعليهم أن يرحلوا من كل البلاد. أنا أسمع أقوالا كهذه هنا. وسمعت ذلك في غزة. وتوجد مقولة يرددها قسم من الفلسطينيين بأن كل إسرائيلي هو مستوطن، وأن مكانكم ليس هنا وعليكم الرحيل. حسنا، هذا مطلب عادل. لكن ينبغي طلب ذلك من الأميركيين والأستراليين والنيوزيلنديين والبيض في جنوب أفريقيا. أي أنه إذا قلنا إن إسرائيل كلها ليست شرعية، وظاهرة كولونيالية من المستوطنين، فإنه بإمكان الإسرائيليين القبول بذلك والقول إنه نحن جزء من ظاهرة كولونيالية ويجب توجيه مطلب كهذا إلى الجميع بأن يرحلوا. أي أن هذا شخصنة للنضال، واستناد على الماضي فقط وليس على المستقبل. وإسرائيل هي حالة استثنائية، علما أن العملية الكولونيالية، أي سلب حقوق السكان الأصلانيين، مستمرة حتى اليوم في أستراليا وأميركا الجنوبية. وأنا أعترف أن الوضع هنا فظ للغاية ولذلك يقلقني. ولذلك أنا أقول إن التناقض الذي أشعر به مؤلم أكثر لأنه أعمق. لكن هناك أمور لا يمكن محوها ومنها التاريخ، والعودة إلى العام ١٩٤٠ أو ١٩٣٥. وهذه أوهام، لأن محو إسرائيل اليوم، وحتى لو نجح ذلك من الناحية العملية، فإنه سيعود بالدمار على الجميع. أي أن هذا سيتم من خلال حرب رهيبة تدمر كل شيء بما في ذلك الشعب الفلسطيني، فلماذا يجب القيام بذلك».

سؤال: في كتابه «الحساب القومي»، يكتب بوعاز عيفرون أن إسرائيل يمكن أن تزول من خلال مواجهة بين العلمانيين والحريديم بداخلها.

هاس: «من بين الأسباب التي يمكن إضافتها لعدم موافقة إسرائيل على حل الدولتين، هو أن حلا كهذا يمكن أن يكشف بشكل أكبر التناقضات الاجتماعية في داخلها. والآن يمكن التغطية على أي شيء بموضوع الأمن. أي أنه يوجد شرقيون وأشكناز والصراع بينهما ولكن الأمن فوق الجميع ويهدد وجودنا».

سؤال: ما هو مدى تأثير ما تكتبينه على قرائك، أو هل تتلقين ردود فعل على مقالاتك أو تقاريرك التي تنشرينها في «هآرتس»؟

هاس: «لقد تحدثت سابقا عن خفض مستوى توقعاتي. أنا وزملاء لي في «هآرتس» وخارجها، الذين كتبنا كثيرا عن الاحتلال، لم نؤثر كثيرا، وحقيقة هي أن الجمهور الإسرائيلي تحرك نحو اليمين خلال العشرين عاما الماضية. كذلك تراجع عدد القراء الذين يريدون قراءة موادنا، وازداد عدد الذين يهاجموننا. لكن كان هناك من رفضوا تأدية الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي الذين قالوا إنهم اتخذوا قرارهم بهذا الخصوص بعد قراءة تقاريري ومقالاتي. وهذا يسعدني طبعا. وهناك يهود في البلاد وخارجها قالوا إنهم غيروا نظرتهم للصراع بعد أن قرأوا تقاريري».

سؤال: هل يوجد تأثير لوجود نسخة انجليزية من «هآرتس»؟

هاس: «لقد وصفت ذلك بأننا نشي للأغيار. وأنا أعرف أنهم في الجيش يقرأونني، وأن سمعتي هي أن المعلومات التي أضعها في التقارير هي معلومات وانطباعات دقيقة. وفي التقارير التي نشرتها مؤخرا، اعترضت على قتل الشبان الفلسطينيين المشاركين في الهبة الحالية، وسألت لماذا ينبغي قتلهم. وبعد ذلك سمعت نغمة جديدة في الجيش عن أنه يجب الاعتقال وليس القتل. لكن لا أعرف مدى تأثير تقاريري على ذلك. وليس لدي خط هاتفي مفتوح مع الجيش. وما يحدث أحيانا، هو أن فلسطينيا يتصل بي ويخبرني أنه يتعرض لتنكيل من الجيش، مثل عدم تمكينه من الوصول إلى أرضه لزراعتها، وعندها أتصل مع الجيش للحصول على رد. وبعد ذلك يسمح الجيش له بالوصول إلى أرضه. أو يتصل فلسطيني ويقول إنه لم يحصل على تصريح للخروج والحصول على علاج طبي، وبعد أن اتصل مع الجيش لاستيضاح الأمر يتم منحه تصريحا كهذا. واللافت أن السلطات الإسرائيلية كانت في السابق تخجل من النشر حول أمور كهذه، مثل عدم إصدار تصريح لمريض بالسرطان بالتوجه لتلقي علاج في مستشفى إسرائيلي، بينما اليوم هم أقل خجلا، وأصبحت الأمور أصعب».